بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين

بمناسبة ما يذكر من وفاة الإمام الصادق (ع) في الخامس والعشرين من شهر شوال أحاول أن أتحدث[1] عمّا يعرّفنا أو يُعرّف من يريد أن يتعرف على إمامة أئمتنا (ع) من خلال الإمام الصادق (ع). تعلمون أن الإمام الصادق (ع) تولى الإمامة من السنة الرابعة عشر بعد المئة حيث توفي الإمام الباقر (ع)، واستمرت إمامته إلى السنة الثامنة والأربعين بعد المئة. في هذه الفترة توفرت ظروف ساعدت على بلورة الإمامة التي لابد من معرفتها والعمل وفقها. وقد رُكّز على بعض جوانب ما قام به الإمام الصادق (ع) في فترة إمامته لكن هناك مسائل لم يُركَز عليها، فنحن بحاجة إلى معرفة هذه المسائل وكذلك من هو –حقيقةً– بحاجة إلى إمامة، يعني يريد أن يتقرب إلى الله من خلال الإمامة فهو كذلك بحاجة إلى معرفة هذه المسائل.

الإمامة –إمامة أئمتنا (ع)– هي في الحقيقة حركة واقعية أو إحدى الحركتين الواقعيتين الموجودتين في حياة الإنسان، لأن الإنسان لا يمكن إلّا أن يساير أو يتبع إمامة، فمن لم يعرف إمامة الهدى أو لم يتبعها فهو قطعا يتبع إمامة الضلال وإن لم يعترف بهذا الاتباع، ولأن الله عز وجل لم يشرع شريعة تتقوم بتبديل خلق الله، فإذن هذه الخلقة الطبيعية للإنسان شرّع لها الإمامة. هذه مجرد إشارات سريعة تمهد لما أريد أن أقوله، وكذلك أرجو أن تكون كمؤشرات مفيدة لمن يريد أن يعرف، فهنالك مشاكل واقعية يواجهها الإنسان بطبيعته فإمامة الهدى تهدي الإنسان ليعبر هذه المشاكل فلا يواجهها، أو بالأحرى يواجه هذه المشاكل لكن بالإمامة يعبرها.

المسلمون في حياة رسول الله (ص) كانوا منقسمين إلى قسمين رئيسيين، قسم غير مبالين مكتفين بظواهر الدين يعني لا يطلبون ولا يهتمون بالدين، كانوا مسلمين وكانوا يقومون بأعمال حتى كانوا يقاتلون مع النبي (ص) لكن ما كانوا مهتمّين، والقسم الثاني القسم المهتمّ.

هذا كان في عهد النبي (ص) واستمر بعد ذلك والآن كذلك موجود، لاحظوا الذين لا يطلبون لا يهتمون لا يبحثون لا يفتقدون شيئا، متدينون لكن يبقون كما هم، ومن الممكن صدفة وقعوا في مكان وفي

---

[1] تحدث به السيد محمد علي الباقري حفظه الله بتاريخ ١٥ شوال ١٤٢٤ الموافق ٢٠٠٣/١٢/٩، وقد تطوّع بعض الأشخاص بطباعته مع شيء من التصرف نتيجة تحويل الحديث من مسموع إلى مقروء وقد لا يخلو من أخطاء غير مقصودة.

هذا المكان يُغذَّى الناس ببعض المعلومات أو حتى ببعض الأمور العملية نفترض تقام مجالس عزاء والناس يبكون فهذا الشخص أيضا يأتي فيبكي، لا أنه هو يسعى لأن يذهب لمكان ليبكي، أو نفترض صدفة يوجد مجلس، في هذا المجلس تطرح قضايا دينية معينة فأيضاً يحضر هذا المجلس، وبطبيعة الحال يأتي بباله بعض الأشياء فالإنسان على أي حال حينما يسمع توجد بعض الأشياء تتعلق بباله لكن من دون أن يطلب، يعني هو لا يخطط ويبرمج أن هذا أريد أن أحصل عليه، هؤلاء كثيرون. أو مثلا يقرأ كتابا حتى بعد ذلك يستطيع في مجلس أن يتكلم، فهو لا يسعى إلى مكان ليستمع لأنه ليس بحاجة، لكنه متدين ملتزم! هذا النوع من الناس موجودون ولا أريد أن أتحدث عنهم.

أتحدث عن الذين يهمهم الدين الذين يريدون أن يتدينوا، يعني يبحثون يطلبون لا يرضون بالوضع الموجود، الذين فعلا يطلبون الأحسن، الأفضل، يريدون زيادة يقرؤون يسمعون ويطلبون فهؤلاء –حسب تصوري– ثلاث فئات، أود أنه أنت لنفسك وبنفسك ولربك فقط تحاسب نفسك بحريتك الكاملة، وإذا لم ترغب –لغير الله– لا تفعل، لغير نفسك لا تفعل، أنا أود أن تحصل لك محاسبة طبيعية عفوية فترى أنك أنت من أي فئة من هذه الفئات الثلاث.

الفئة الأولى الذين يركزون على المسائل التي تكون نتيجتها الأعمال أو الحالات، يعني شخص يريد أن يحصل له نشاط يريد أن يصلي أكثر يريد أن يخشع أكثر، فإذن يبحث ويحضر مجلسا في هذا المجلس يُطرح ما ينفعه بهذا اللحاظ، أو يبحث عن مواعظ تؤثر فيه حالات، حالة الزهد في الدنيا، حالة تذكر الآخرة، حالة تذكر الموت، أو يبحث ويقرأ كتابا في الأخلاق أو يقرأ روايات يريد أن يعمل بها للتزود بتلك الحالات، وحتى إذا وجد أناسا ورعين متقين فيسعى أن يكون معهم لأنه يريد أن يكون مثلهم، فهو يطلب الورع، ويطلب العمل بالمستحبات، ويطلب ترك المحرمات، ويريد أن يزهد وتحصل عنده حالات ونوع من التفاعل هذا يطلبه، فهو لا يكتفي أنه صدفة وُجد في وضع كان هناك شيء من هذا القبيل، فهو يسعى أن تحصل تلك الحالات. هذه الفئة من الناس كذلك موجودون وبكثرة بين المتدينين.

طاووس اليماني حينما يأتي فيرى أن الإمام السجاد (ع) –كما ينقل– ساجدا فيدعو في حجر إسماعيل، فيجلس يقول عبد من عباد الله الصالحين دعني استمع لدعائه، هذا طلب لكن هذا يريد أن يتأثر ويستفيد منه، هذا النمط هو الفئة الأولى. هذا النمط من العمل معروف بالروايات أنه باطل، لماذا باطل؟ كثير يوجد تركيز في الروايات لأن هذا العمل يفتقد الإمامة والولاية، لابد للإنسان من الولاية يعني يكون

له ولي، ولا بد أن يكون له إمام، هذا النمط من التعامل مع الدين تعامل يتجسد في أبرز مظاهره في التصوف، شخص يريد أن يتدين أن يستفيد، كل هذه الأشياء تحصل لكن من دون أن يعرف إمامة الدين، من دون أن يعرف ولاية الدين، وفي الروايات المروية عن أئمتنا (ع) يوجد تركيز شديد على أن هذا النوع من العمل باطل وأن الإنسان الذي يركز على هذه الأشياء يكون ضالا، باب الهدى هم الأئمة (ع) فالفئة الأولى مشكلتها أنها لا تعرف الإمامة ولا تطلب معرفتها.

الفئة الثانية وهي أقل من الفئة الأولى، نفترض أن شخصا صدفة حصل له مجال وسمع عن الإمامة وأن الإمامة ضرورية والولاية مهمّة وأن الأعمال لا تكون مقبولة فبالتدريج بدأ يطلب يبحث –لا أنه فقط يكتفي بما يسمع كما في القسم الأول– الآن صدفة في أول الأمر حصل له مجال، هذا المجال لفت نظره بدأ الآن يبحث يقرأ ليعرف، يستمع ليعرف يفكر ليعرف الإمام.

هذا الشخص –من هذه الفئة– الذي حصل أن سمع في مكان أن هنالك إمامة وولاية، لا يكتفي بما طُرح لأن هذه الفئة تطلب، بطبيعة الحال تحصل له معرفة بالإمامة، لأنه يوجد طلب فتحصل المعرفة، شخص نفترض بأنه يحضر مجلساً في هذا المجلس –حتى لو كان مجلس النبي (ص)– صدفة واحد يستمع له، فقط يتواجد من دون طلب فقطعا لا تحصل له معرفة، المعرفة لابد لها من الطلب والسعي، هذا حسب تصوري شيء واقعي نفترض مثلا بأن شخصا مبتلى بمرض معين، فالآن أي مقال متعلق بهذا المرض –في جريدة مثلا– هذا المقال يقرؤه، وكذلك يطلب إذا مثلا توجد ندوة يذهب ليسمعها، هكذا يكون فتحصل له معرفة.

ومضافا إلى المعرفة فكذلك نفسه ترتاح للإمامة، لأن أساسا فطرة الإنسان متناسبة مع الإمامة إذا عُرفت فتنشرح لها النفس، بشرط إذا الإنسان بحث عنها. ولكن هذه الفئة تواجه مشكلة التركيز على المعرفة وإهمال العمل. هذا كان في عهد الأئمة (ع) وبالذات في عهد الإمام الصادق (ع) كان يوجد تركيز على المعرفة وأن معرفة الأئمة لابد منها، وأنه لا شيء يحصل من دون الطاعة، وأن الطاعة لا تكون إلا بمعرفة، فالشخص إذا لا يعرف وجهة الأئمة (ع) فكيف يطيعهم؟ هنا يصير تركيز على معرفتهم، بالتدريج يهمل ماذا؟ يهمل العمل فيصبح ذلك كل شيء! هذه مشكلة واقعية يتعرض لها المهتمون بمعرفة الإمام. هذه المشكلة ظاهرة بارزة في عهد الأئمة (ع) منهم الإمام الصادق (ع).

الفئة الثالثة هي الفئة التي تجمع بين الأمرين، تعرف للتقرب إلى الله، تتعامل مع الأئمة (ع) كطريق إلى الله، كوجهِ الله الذي يؤتى منه، وإمامتهم هي التي تقود إلى الله، فالمطلوب عبادة الله لكن هذه العبادة لا تتحقق من دون معرفة الوسيلة –التي هي الإمام والولاية– هذه الفئة جدا قليلة.

الآن بعد هذا التمهيد أقرأ روايتين، هنا في هذه الرواية في الكافي شخص يقول للإمام الصادق (ع) **(ما نلقى من الناس فيك** –منتمون لهذا المذهب يعرفون يدافعون قائمون، فيُعرَفون بأن هؤلاء إماميون، بطبيعة الحال يعاني يواجه مشاكل في هذا الطريق، الآن بدل أن يكبت (يكتم) في نفسه، أتى وطرح على الإمام (ع) –دعنا عن الأسلوب لكن على أي حال الصراحة جيدة– فيقول أنه نحن نلقى من الناس الكثير من المشاكل بسبب الانتماء إليك، الآن لماذا يقول هذا الشيء؟ ربما يتنفس، فيه معاناة، هؤلاء الذين كانوا مع الأئمة كانوا في عهد الأئمة (ع) ما كانوا مرتاحين مثلنا نحن فقط نعيش، هؤلاء كانوا يتّقون كانوا يعانون جداً يعني يخفون دينهم، فكانوا يجاهدون، مثلا الشاعر الكميت من المعروف أنه كان يمدح الأئمة (ع) فأُهدر دمه، ففر من سجن الكوفة وذهب فربط نفسه بقبر أحد أولاد الخليفة –هذه عادة عند العرب– ليستجير به، فقال الخليفة كل حاجة مقضية إلا الكميت![2]، الأمر هكذا كان، ليسوا مثلنا نحن مرتاحون على أي حال وفقط نتكلم والكلام أيضاً كثيرا يريّح مادام أنه لا يضعنا في وضع تصبح فيه التقية ديننا فلا توجد معاناة.

هذا الشخص كان يعاني، يقول: (...**فقال لا يزال يكون بيننا وبين الرجل الكلام** –يعني نتكلم– **فيقول جعفري خبيث**...) فهذا الشخص ما اكتفى فقط بالانتماء، أنه نحن من جماعة الإمام الصادق (ع)، بل حينما يتكلم يتصدى، معناه ماذا؟ أن عنده خلفية معرفية، والمعرفة لا تحصل إلا بالطلب، مثلاً هشام بن الحكم المعروف كان شاباً وكان من أتباع مذهب الجهمية، فقال لأحد أقاربه استأذن لي جعفر بن محمد أريد أن أناقشه، فهو طرح على الإمام الصادق (ع) فالإمام (ع) قال –بهذا المضمون– دعه يأتي، قال يا ابن رسول الله إني أخاف منه هذا شخص جريء جدا –فيه جرأة شاب– قال تخاف علي؟! فأتى وناقشه، بعد مدة قال بأنه مرة ثانية استأذن لي، وهكذا إلى أن عرف الحق[3]

---

[2] الأغاني (١٧/ ١٢)

[3] بحار الأنوار (١٩٤/٤٨) نقلا عن رجال الكشي

هذا الشخص عنده معرفة، فقال الإمام الصادق (ع) في هذه الرواية (...**يعيّركم الناس بي؟ فقال له أبو الصباح نعم، فقال ما أقل والله من يتبع جعفرا منكم إنما أصحابي من اشتد ورعه وعمل لخالقه** -يعني أنتم مكتفين بالفهم وبالكلام!- **ورجا ثوابه فهؤلاء أصحابي**)[٤]، إذا شخص يقول إذن الإمام الصادق (ع) يتكلم عن الفئة الأولى فيروّجها ويقول بأنه أصحابي من هؤلاء؟ الجواب لا، لأن حتى لو في هذه الرواية غير مذكور لكن من ضروريات مذهب أهل البيت (ع) أن تلك الفئة الأولى أعمالها باطلة، وهذا منتشر الآن موجود، أناس يهتمون بالأئمة (ع) لا بإمامتهم للاتباع لكنهم يركزون على حالات، وعلى هذا الأساس يبقون أفراداً، تلحظون هذا الشيء؟ هذا النمط من التعامل موجود، الأئمة (ع) لا يريدون أن يروجوا هذا النمط من الناس.

في الراوية الثانية عن شخص (**قال سمعت أبا عبد الله (ع) يقول: عليك بتقوى الله والورع والاجتهاد** -بذل الجهد- **وصدق الحديث وأداء الأمانة وحسن الخلق وحسن الجوار وكونوا دعاة إلى أنفسكم بغير ألسنتكم وكونوا زينا ولا تكونوا شينا وعليكم بطول الركوع والسجود...**)[٥]. لابد من الأعمال الصالحة لكن بشروطها، رواية عن الإمام الرضا (ع): (...**لا إله إلا الله حصني فمن دخل حصني أمن من عذابي، قال فلما مرت الراحلة نادانا بشروطها وأنا من شروطها**)[٦].

أردت أن أقول لك، أقول للشخص الذي يطلب: هنالك ثلاث فئات من الناس المهتمين بالدين الذين يطلبون المزيد من الدين ولا يرضون بأن يكونوا كما كانوا بل يتغيرون، الفئة الأولى أن الزيادة تكون في العمل وفي الحالات، خشوع أكثر فقط، الفئة الثانية هو الاهتمام بمعرفة الأئمة (ع) والتركيز عليها فقط، والفئة الثالثة هو هذه التركيبة: العمل الصالح التقرب إلى الله عبادة الله، العمل رجاء ثوابه ومخافة عقابه لكن عن طريق من؟ عن طريق الأئمة (ع)، تُعرف إمامتهم فبإمامتهم يُتقرب إلى الله.

وفقكم الله تعالى لمراضيه والحمد لله رب العالمين.

---

[٤] الكافي (٢/٧٧)

[٥] الكافي (٢/٧٧)

[٦] عيون أخبار الرضا (ع) ص ١٤٥